فقدت الغرافولوجيا الكلاسيكية مصداقيتها[43].

ونشير هنا للتمثيل إلى بعض مظاهر القصور التي استهدفت من خلالها الغرافولوجيا الكلاسيكية ومنها:

* المظهر الثباتي الذي لا يرصد الكتابة في تحولاتها المستمرة في الزمن.
* كونها تمكن من ملاحظات دقيقة في بعض الأحيان، ولكنها جد محدودة، ويسجل في هذا الصدد كونها تبتعد عن الكتابة، بقدر ما ترتمي في أحضان السيكولوجيا.
* كونها تستهدف استكشاف الشخصية والطبع عبر الكتابة، والواقع أن الشخصية والطبع يعتبران ديناميين لا يتجزآن.
* إن علم الطباع والتحليل النفسي، لم يوجدا من أجل خدمة الغرافولوجيا، واستعمالها لهما من أجل مضاعفة مفاتيحها ينتج عنه نوع من التغريب لهذه النظريات لأنها لا تؤخذ في شموليتها[44].

يتبين مما تقدم أن الغرافولوجيا كعلم، تسهدف الكتابة كموضوع لغاية تأويلية تخص معرفة الطباع والشخصيات، وإذا أمكن اليوم الحديث عن الغرافولوجيا في مجالات الحياة المعاصرة، فإننا لا نتجاوز بذلك مجال تشخيص العلل السيكولوجية، ومجال علم الأجرام، هذان المجالان يعتبران الكتابة الأثر، بصمة خاصة بمنتجها المتفرد.

خلاصات

لقد أمكن حتى الآن تلمس التأطير النظري لموضوع الكتابة في مجالات ثلاثة:

1 ـ **مجال اللسانيات**، حيث وقفنا على ثبات الإلحاح على هامشية الدليل الخطي وأولية الدليل المنطوق.

2 ـ **مجال الغراماطولوجيا أو علم الكتابة**، وهذا المجال لم يتجاوز مجرد تقديم قراءة انتقادية لثوابت اللسانيات البنيوية، وتأكيد أهمية الدليل الخطي. ومن ثمة تقديم مقدمات العلم الذي تفترض أهليته لتناول هذا الموضوع، ولكن واقع الأمور يؤشر على انحسار هذا الاتجاه في حدود الكتابات الرائدة الأولى مع جلب وديريدا دون أن يكتسب امتداداً نظرياً وتطبيقياً يمكن تمثله اليوم كعلم للكتابة.

3 ـ **مجال الغرافولوجيا**: وهذا المجال رغم أقدميته بالقياس للمجالين السابقين، جاء ببعد تأويلي وتصنيفي هام، ولكنه ظل مسكوناً بمجموعة عوائق تحد من فعاليته وفي طليعتها تسخير البعد التأويلي من أجل تعرف الطبائع والشخصيات في إطار توجه سيكولوجي ساذج.

(43) المرجع نفسه، ص 41.
(44) المرجع نفسه، ص 43.